عضو المجلس المركزي في حزب الله للوفاق:

الشيخ الصدوق.. رائد علم الحديث والممهد لحاضرة بغداد العلمية

الوفاق
عبير شمص

كانت الحوزات العلمية الإسلامية وخاصةً الشيعية أهم القواعد الإسلامية عبر التاريخ التي ربّت «حماة الإسلام»

وسوف تبقى. يقول الإمام الخميني (قدس): «لو لم يكن أولئك العلماء لما كان لدينا اليوم أي اطلاع على الإسلام»، وهو بذلك يتحدث بعمق عن واقع يدل عليه النظر إلى التاريخ وحالات العلماء العظام الذين قاموا بنقل التعاليم الإسلامية والدفاع عنها وتهذيبها من كل دخيل وقدموا لذلك كل ما لديهم في سبيل إعلاء كلمة الله (سبحانه وتعالى) على الأرض. سنتحدث عن أحد هؤلاء العلماء وهو الشيخ العلم الأمين، أبو جعفر الثاني، محمد بن الشيخ المعتمد الفقيه النبيه أبي الحسن علي بن الحسن بن موسى بن بابويه القمّي المشتهر بالشيخ «الصدوق» (٣٠٥ هـ/ ٩١٧م- ٣٨١/٩٩١م)، وهو عالم فقيه ومحدث كبير من علماء الشيعة الكبار في القرن الرابع الهجري، لم يُرَ في القميّين مثله، وهو أحد الأربعة المشهورين بجمع أخبار الشيعة، ومن روّاد علم الحديث، ومن رجال الشيعة الذين سطعوا في سماء الفقه والحديث وبقي وجودهم يشع دوماً، ذلك أن هذه النجوم الربّانية لا تغرب أبداً. يصادف في هذه الأيام ذكرى وفاته وهو كما قال الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري، أحد مصاديق خدمات الإيرانيين للإسلام، وللحديث حول حياته ونهجه العلمي والعصر الفكري والسياسي والمذهبي الذي عايشه، حاورت صحيفة الوفاق عضو المجلس المركزي في حزب الله الشيخ حسن البغدادي، وفيما يلي نص الحوار:

ولد بدعاء الإمام المهدي (عج)

يستهل الشيخ البغدادي حديثه بالتعريف بالشيخ الصدوق بأنه من علماء القرن الرابع الهجري، وهو فقيه ومحدث، وواحد من أركان المحدثين الثلاثة، إلى جانب الكليني والطوسي. ولد في مدينة قم المقدسة في إيران حيث نشأ في بيئة علمية أسهمت بشكلٍ كبير في صقل معارفه لا سيّما العقائدية منها والفقهية والحديثية ، فبرز بين أقرانه لمّا تميز به من ذكاء وحفظ وسعة اطلاع.

ويكفي شيخنا الصدوق فخراً أنه ولد بدعاء الإمام المهدي (عج)، إذ كتب والده إلى الإمام يستدعي منه الدعاء، فجاء الجواب من الإمام بأنه سيرزق ولداً صالحاً مباركاً، وهذا ما منح الشيخ الصدوق منزلةً روحيةً خاصة بين أوساط الشيعة.

مَهّد للحاضرة العلمية في بغداد

يشير الشيخ البغدادي بأنه يُنظر إلى الشيخ الصدوق كمُمهد لظهور الحاضرة العلمية في بغداد التي شيدها الشهيد المفيد والسيّد المرتضى واكتملت بشيخ الطائفة الشيخ الطوسي، وقد لعب شيخنا الصدوق دوراً بارزاً في التمهيد الفكري والثقافي لوجود تلك الحاضرة، وذلك عبر مشاركته في المناظرات مع فقهاء الفرق الإسلامية من المعتزلة والشعراء والخوارج وغيرهم، أضف إلى نشره للحديث والرؤية الإمامية للعقيدة، فجذب حوله عدداً من التلاميذ والمهتمين. وكانت بغداد في تلك الفترة في أوجها الثقافي والعلمي، خصوصاً في عهد البويهيين الذين أفسحوا المجال للشيعة للمشاركة في الحياة الفكرية.

عُرف بالمنهج المبسط والواضح

يشير الشيخ البغدادي بأن الشيخ الصدوق جعل المصدر الأول للعقيدة، وبرز في منهجه التبسيط والوضوح، فكتب لعامة الناس كما كتب للخواص، واعتمد في رواياته على أسانيد موثوقة، اجتهد في تنقية الرواية من الشوائب والغلو، وهذا كان ديدن علماء الإمامية الذين لم يقبلوا كل ما ورد عن رسول الله (ص) حيث هناك من كذب على النبي (ص)، فالأحاديث المنسوبة إليه (ص) فيها الصحيح والكاذب، لذلك كان لا بد من البحث حول سند الحديث كي نتأكد أن الراوي ثقة وهذا بحث ليس لنا مجال فيه، إلا إنني أردت الإشارة إليه فقط.

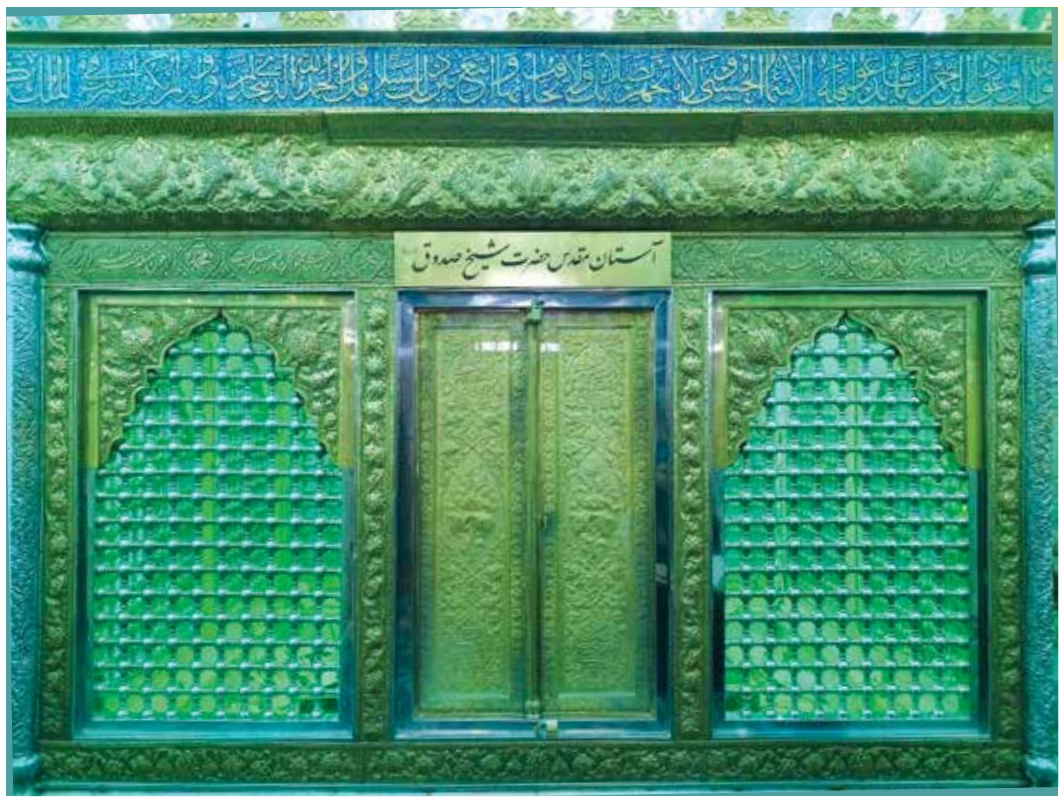

وهكذا كان الشيخ الصدوق في مرحلة غاية من الأهمية والحساسية فولادته كانت في مدينة قم المقدسة سنة ٣٠٥ هـ. وكان في زمن الغيبة الصغرى للإمام المهدي المنتظر (عج) التي بدأت منذ استشهاد والده الإمام الحسن العسكري (ع) سنة ٢٥٥هـ وانتهت برحيل السفير الرابع سنة ٣٢٩ هـ، وبهذا يكون الشيخ الصدوق في مرحلة تجمع بين المدرسة الكلامية العقائدية وبين المدرسة حيث النهج الذي أراده إمامنا (عج) أن يستمر في زمن الغيبة الكبرى. فهناك مدارس كلامية كالأشاعرة والمعتزلة والمدرسة الإمامية، وهنا يبرز الدور الكبير الذي قام به الشيخ الصدوق من توثيق الأحاديث الشريفة التي بينت بوضوح المنهج العقائدي للمسلمين كما أراده النبي (ص) والأئمة الأطهار (ع). كذلك ما يتعلق بعمل المكلفين وكما ورد «ما من واقعة إلا ولله فيها حكم». هذا الجهد الذي بذله المحدّثون في حفظ هذه الأحاديث وتدوينها كان بمثابة القاعدة الأساس لإنطلاق المدرسة الفقهية التي مر تطورها بمراحل متعددة، إذ تمثلت المرحلة الأولى بالأحاديث التي بُني عليها الحكم الشرعي.

لعب الشيخ الصدوق دوراً بارزاً في التمهيد الفكري والثقافي لظهور الحاضرة العلمية في بغداد وذلك عبر مشاركته في المناظرات مع فقهاء الفرق الإسلامية

الحوار ضرورة في ظل التنوع المذهبي

يضيف الشيخ البغدادي بأن هذا ما نلاحظه في كتابه الذي اشتهر به (من لا يحضره الفقيه)، وهو أحد الكتب الأربعة التي تُشكّل بمجموعها المصدر الثاني للفقه الإمامي بعد القرآن الكريم، مع هذه الكتب التأسيسية كان الفقه والأحكام تُستنبط من لسان الأحاديث الشريفة، بعد ذلك تطور الفقه وأخذ شكلاً آخر، وهذا ما سمي بالمدرسة الفقهية، وكان هناك انقسام حاد في فهم المدرسة الفقهية، فأصحاب المدرسة الإخبارية كانوا يرون أن الأحاديث الشريفة يمكن الإعتماد عليها فيما يتعلق بالأحكام الشرعية، ولكن أصحاب المدرسة الأصولية رفضوا هذا الكلام، كون الأحاديث وحدها لا تستطيع أن تلبي حاجات المجتمع وتطوره، لهذا نحتاج إلى قواعد ومناهج تتماشى مع تطور المجتمعات وتلبي حاجاتهم، يضاف له أنه يلزم منه انسداد باب العلم وهذا يشكل خطراً كبيراً . ويختتم الشيخ البغدادي حديثه بالقول: استفاد الشيخ الصدوق من وجود الدولة البويهية، كما أسلفنا، والتي حكمت إيران والعراق بما يزيد على المائة والعشرين سنة، حيث أفسحت المجال للتنوع المذهبي، وهنا برز العلماء كرواد أساسيين لبناء المناهج العلمية وإطلاق الحوار الذي لو قُدر له أن يستمر لتخلصنا من كثير من المشاكل، لأن المشكلة الحقيقية ليست في التنوع، بقدر ما هي تدور حول منع التفاهم والحوار والتقريب، ولهذا عندما كانت تُتاح فرصة الحوار كنا نرى أن علماء الإمامية يحضرون مع علماء المذاهب والعكس هو الصحيح.

الكمائن في غزة تفضح هشاشة الاحتلال عبر تصاعد العمليات النوعية

محمد الأيوبي
موقع العهد الاخباري

في قلب جغرافيا مدمّرة ومحاصرة، كانت المعادلة تبدو محسومة: قوة عسكرية كبرى تفرض أدواتها التقنية والدموية على مساحة صغيرة أنهكتها الحرب. غير أن الواقع، كما أثبتته التجربة في غزة، يعيد ترتيب نفسه ضد منطق القوة الغاشمة.

بعيدًا عن ضجيج الإعلام الرسمي ومقاييس الانتصار المصطنعة، كشفت الوقائع أن الفعل المقاوم لم يُسحق بل أعاد تنظيم نفسه، مستثمرًا في الفراغات التي خلفها الدمار ومستوطنًا زوايا الأرض المسحوقة لينبت من ركامها طاقة صلبة قادرة على الفعل. في هذه اللحظة، حيث اعتمد العدو على النيران الموجهة من بعيد لتقليل خسائره البشرية، كانت المقاومة تبتكر معادلة جديدة: المعركة لا تُخاض من خطوط المواجهة الكلاسيكية، بل من أنقاض البيوت، ومن السراديب الضيقة، ومن داخل الجغرافيا التي تموت وتقاتل في آن. إستراتيجيات المقاومة: من الكمائن إلى التفوق العملياتي

ليس من قبيل المصادفة أن تتحول الكمائن إلى العصب الرئيس للعمليات الجارية. إن تراجع الجيش الغازي إلى ما يُسمى بـ«المناطق العازلة» واكتفاءه بالقصف الجوي جعل المواجهة البرية محدودة ومضطربة. هنا تُفرض قواعد حرب العصابات نفسها: مجموعات صغيرة مرنة، تضرب وتنسحب، تستنزف الخصم مادياً ومعنوياً، وتفتح جبهات متفرقة لا يستطيع أن يغلقها جميعها مهما بلغت قوته النارية. القنص، الهجمات بقذائف «الياسين»، العبوات الناسفة المزروعة بدقة، الكمائن المحكمة في الشجاعية وتل السلطان وبيت حانون..إلخ. كلها ليست عمليات عشوائية بل تعبير عن تكتيك منظم هدفه كسر إيقاع الجيش المتفوق تقنياً وإجباره على الانكشاف في مسرح قتالي يحكمه المقاوم. لقد تجاوزت المقاومة فكرة المواجهة الرمزية إلى تطوير عمليات نوعية تعتمد على خبرة طويلة في استغلال التضاريس، وقراءة العدو، والضرب في اللحظة الحرجة لإيقاع أكبر قدر من الخسائر في صفوفه.

الهزيمة النفسية للعدو أمام صلابة المقاتلين

بعيداً عن الأرقام الباردة، تحمل الاشتباكات الأخيرة رسائل نفسية مدوية: هذا العدو، المدجج بكل أدوات الموت، بات عاجزاً عن حماية نفسه حتى وهو يتحرك ضمن قوة احتياطية محصنة. مشاهد الإخلاء تحت النار، وتعثر عمليات الإنقاذ لساعات طويلة، وتحول المهمات الهجومية إلى معارك دفاعية فاشلة، كلها تعكس انهياراً ميدانياً وأخلاقياً يصعب ترميمه ببضع تصريحات رسمية أو حملات إعلامية مضادة. كل قناصة تختار أهدافها بثقة، كل قذيفة "آر بي جي" تخترق دبابة، كل عبوة ناسفة تزرع في طريق القوة المهاجمة، هي بمنزلة تصويت عملي على فشل المشروع العسكري برمته، وعلى هشاشة كل معادلات القوة التي طالما تم تسويقها. لقد تحول المقاتل الفلسطيني، العامل في بيئة شبه مستحيلة، إلى عقدة عملياتية للجيش الذي كان يُفترض أنه الأكثر تطوراً في المنطقة، ما جعل القادة العسكريين يعترفون ضمنياً أن حرب الاستنزاف باتت تستنزفهم هم قبل أن تستهلك العدو المفترض.

الكمين كممارسة للسيادة الوطنية بعيدًا عن المنطق العسكري البحت، ينبغي النظر إلى الكمائن باعتبارها ممارسة سيادية.

المقاومة تقول للاحتلال عمليًا: «هذه أرضنا، نحن من يقرر قواعد القتال، أنتم هنا غرباء، وأنتم من سيدفع الثمن.»إن نصب كمين، في وسط حي مدمر، ضد وحدة متقدمة من جيش الاحتلال، هو فعل سيادي بامتياز، يعيد رسم معادلة السلطة: القوة ليست لمن يحتل الأرض بالدبابات، بل لمن يملك الإرادة لقتال المعتدي حتى آخر لحظة.

كما أنه حين ينصب المقاوم كمينًا لرتل عسكري «إسرائيلي»، فهو لا يقوم بعمل عسكري بحت. إنه يقوم بفعل تاريخي: يؤكد أن الحق لا يُمحى بالقوة، وأن إرادة الحرية قادرة على تحويل أبسط الأدوات إلى معاول لهدم أعتى قلاع الظلم.

المعادلة الجديدة: إرادة غزة في مواجهة هندسة الإبادة

في الصراع الجاري، لا تدور المعركة فقط حول السيطرة على الأرض، بل حول تكسير الهندسة الاستعمارية التي أُعدت لإبادة كل ما هو حي ومقاوم في غزة. فكل بيت مهدّم يصبح ساتراً، وكل حارة مدمرة تتحول إلى كمين محتمل، وكل نفق مدفون هو شريان مقاوم ينبض رغم الردم والقصف. في مقابل كل محاولة لاجتثاثها، تخرج المقاومة أكثر التصاقًا بأرضها، وأكثر قدرة على تفكيك الماكينة العسكرية المعادية. والأهم أن هذه الإستراتيجية لا تنتصر فقط في الميدان، بل ترسم خطوطًا جديدة على خريطة الوعي العربي والعالمي: أن غزة، رغم الحصار والموت، قادرة على إعادة إنتاج نفسها كحقيقة لا يمكن نفيها أو سحقها، وأن الإرادة الشعبية حين تتجسد في فعل مقاوم واعٍ تصبح أقوى من كل جيوش العالم مجتمعة.

وكما قلنا سابقًا بأنه: «حينما تفشل أي قوة غاشمة في إخضاع الضعفاء، ينكشف وجه الإمبراطورية الحقيقي، ويبدأ العد التنازلي لانهيارها.» وغزة، بكل فداحة تضحياتها، تكتب هذا العد التنازلي اليوم، بدماء أبطالها، بوعي شعبها، وبكمائن مقاتليها الذين أثبتوا أن الضعف المادي قد يتحول إلى أعظم أسلحة القوة.

سيرة شهيد

الشهيد تورجي زاده: قائدٌ سارَ على درب السّير والسّلوك برمز «يازهراء (س)»

الوفاق/ وُلِدَ الشهيد محمدرضا تورجي زاده في عام ١٩٦٤م في أصفهان. لم يكن قد تجاوز الرابعة عشرة من عمره عندما تم اعتقاله من قبل السافاك بسبب نشره الإعلانات وأشرطة خطب الإمام الخميني (قدس)، وتعرض للضرب عدة مرات. مع انتصار الثورة الإسلامية، بدأ نشاطاته الثقافية في مسجد ذكرالله، وتعرف على حزب الجمهورية الإسلامية. في المدرسة، شرع بإقامة دعاء كميل، وبدأ في مدح أهل البيت (ع). ترك امتحانات السنة الأخيرة من الثانوية وذهب إلى الجبهة. فقضى فترة التدريب في معسكر «غدير» في أصفهان، وانضم إلى لواء النجف الأشرف الثامن.

مسيرته الجهادية

في البداية، شارك في عمليات محرم ضمن كتيبة لواء النجف الأشرف الثامن، ثم في عام ١٩٨٢، تم نقله إلى لواء ١٤ الإمام الحسين (ع). في هذا اللواء، تعرف على الشهيد «محمدحسن هدايت»، وكان لشخصية هذا الشهيد تأثيرٌ كبير عليه. في ١٩٨٤م بناءً على طلب قائد كتيبة الزهراء (س)، انتقل إليها وتولى منصب نائب قائد مجموعة «ذو الفقار». ثم شارك في العديد من العمليات منها: محرم، خيبر، بدر، وعمليات كربلاء ٥، وأخر عملية شارك بها واستشهد فيها كانت «عمليات كربلاء ١٠».

عشق السيدة الزهراء (س)

قلما نجد هناك أصفهاني لا يعرف الشهيد محمد رضا تورجي زاده. سلوكياته العرفانية وسيرته جعلت الجميع يعرفونه كشهيد، عُرف بما لديه من حب كبير للسيدة فاطمة الزهراء (س)، وهذا الحب جعله يقطع مسار السير والسلوك بسرعة.وكان يقرأ في معظم مدائحه عن مصائبها. قال إنه سيستشهد في عملية يكون رمزها «يا زهراء (س)». أوصى بأن يُكتب على قبره: «يا زهراء (س)». وقد جرح الشهيد خمس مرات، وكان كلما يتعافى تمامًا، يعود إلى الجبهة. وفي النهاية، استشهد هذا المجاهد الذي لم يكن يعرف الكلل في مرتفعات مدينة «بانه» في محافظة كردستان في إيران.

معراج السالكين

في عام ١٩٨٧، دخلت كتيبة «يا زهراء (س)» بقيادة الشهيد محمدرضا تورجي زاده في عملية كان رمزها «يا زهراء (س)» .

في أحد الأيام، فجأة سُمعت أصوات انفجارات القذائف. أصابت قذيفة دقيقة خندق القيادة، أُخرج محمدرضا من الخندق، كان هناك جرح عميق في جانبه الأيسر. كما كانت ذراعه اليمنى مغمورة بالدماء.دفن الشهيد في مقبرة شهداء أصفهان بجانب رفيق دراسته وصديقه في الجبهة الشهيد «سيد رحمن هاشمي».